اللازمة له. وكان معدو العملية ينتظرون الجو المناسب الذي يسمح بالشروع في تنفيذها، ليس الا.

وبداية، أيضاً، يجوز القول، كذلك، أن القيادة الفلسطينية لم تكن راغبة في خوض حرب مواجهة شاملة مع اسرائيل على أرض لبنان. ولذا، اتبعت القيادة الفلسطينية سلوكاً يستهدف الحيلولة دون توتير الموقف، ويحرم الجانب الاسرائيلي من اقتناص سبب مقنع يتخذه ذريعة للشروع في الهجوم. وفي هذا السياق، قامت القيادة الفلسطينية بكل ما هو ممكن؛ وأبرز ما فعلته هو تمسكها تمسكاً حرفياً بالتزامها بوقف اطلاق النار عبر الأرض اللبنانية، طبقاً للاتفاق الذي تم التوصل اليه بهذا الشأن في شهر تموز ١٩٨١. وحين توالت الاستفزازات العسكرية الاسرائيلية لاستدراج منظمة التحرير الى رد واسع، تجنبت قيادة المنظمة الاستجابة للاستفزاز. اما في المرات القليلة التي تعذر فيها الامتناع عن الرد، فكان الردُّ الفلسطيني يأتي محسوباً بأقصى ما يمكن من الدقة، ولم يتجاوز، في أي حال من الأحوال، حدود الردّ الانذاري الذي يؤكد أن الجانب الفلسطيني مستعد للمجابهة ان هي فُرضت عليه.

وبداية، أيضاً وأيضاً، يجوز القول مرة ثالثة، أن الجانب الفلسطيني أدرك على نحو قاطع أن اسرائيل ستهاجم لبنان، وأن دوافع اسرائيل للهجوم لا تتصل بالنشاط الفلسطيني وحده. وكان في يقين الجانب الفلسطيني أن هذه الدوافع تنطلق من اعتبارات اسرائيلية وأميركية أخرى. واذا كان من المؤكد أن أضعاف منظمة التحرير أو القضاء على وجودها في لبنان يشكل هدفاً مشتركاً للسياستين الاميركية والاسرائيلية، فان للجانبين، معاً، ولكل منهما على حدة، أهدافاً أخرى، تتصل بالرغبة في استكمال الهيمنة الأميركية على منطقة الشرق الأوسط وفي ضرب أسس الرفض العربي لاتفاقات كامب ديفيد، وفي ملاحقة الوجود السوفياتي في المنطقة، وفي تصفية المواقع المعادية للامبريالية والصهيونية فيها، وفي ترتيب أوضاع لبنان بحيث يفقد موقعه كنقطة استقطاب للنضالات الفلسطينية والوطنية اللبنانية والعربية المماثلة، وتحويله، على عكس ذلك، الى مرتكز يتمركز فيه النفوذ الأميركي والاسرائيلي ويمتد منه ليؤثر على سوريا وسواها من بلدان الشرق الأوسط.

وفي اليقين، أن منظمة التحرير، بما هي في حد ذاتها، وبما تستقطبه من قوى، وبما تحفزه من نضالات سياسية واجتماعية، وبما تقدمه من أمثولة لفعالية الفئة القليلة في وجه الجبروت الامبريالي ــ الصهيوني ومحاولات فرض هيمنته على الشرق الأوسط، شكلت الهدف الأول للحرب التي شنتها اسرائيل، على أساس أن القضاء على وجود المنظمة في لبنان هو مفتاح تحقيق الأهداف الأخرى للحرب، وبدونه، أي بدون القضاء على وجود المنظمة، يتعذر تحقيق تلك الأهداف.

في ضوء هذا كله، لم يكن الاجتياح الاسرائيلي للبنان مفاجئاً. وكذلك، لم يكن الدعم الأميركي لاسرائيل، والعمل الأميركي المدروس لتغطية عدوانها الجديد، مفاجئين.

مفاجآت ليست في الحسبان

الا أن مجريات عملية الاجتياح وردود الفعل عليها تكشفت عن عدد من المفاجآت